أطفال الماء

The Water-Babies

٧ – الرحلة

وَنَظَرَ تُومْ إِلَى الْمَلِكَةِ ، وَكَانَتْ لاَ تَزَالُ وَاقِفَةً بِجِوَارِهِ ، وَقَالَ لَهَا : « أَإِذَا ذَهَبْتُ إِلَى جْرِيمْسَ ، وَسَاعَدْتُهُ ، تُعِيدِينَ إِلَيَّ أَبِي ؟ » فَقَالَتْ : « نَعَمْ ، أُعِيدُهَا إِلَيْكَ . »

تُومْ : « إِذَنْ فَأَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلرَّحِيلِ إِلَى حَيْثُ تَشَاءِينَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ الدُّنْيَا . »

الْمَلِكَةُ : « إِنَّكَ وَلَدٌ بَاسِلٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ وَلَكِنَّ رِحْلَتَكَ ، يَا بُنَيَّ ، سَتَكُونُ أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ ، فَجْرِيمْسُ لاَ يُقِيمُ فِي هٰذَا الْعَالَمِ ، بَلْ هُوَ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ ، وَلٰكِنْ تَلْقَاهُ ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَلَ إِلَى نِهَايَةِ الْعَالَمِ ، حَيْثُ الْجِدَارُ السَّاطِعُ . وَهُنَاكَ تَدْخُلُ مِنْ بَابٍ أَبْيَضَ وَاسِعٍ ، لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِكَ ، فَتَرَى أَمَامَكَ بِرْكَةَ السَّلاَمِ الَّتِي تَنْتَقِلُ إِلَيْهَا الْحَيَوَانَاتُ الطَّيِّبَةُ بَعْدَ مَمَاتِهَا ، وَهُنَاكَ تُقَابِلُ أُمَّ الرَّحْمَةِ ، فَتُرْشِدُكَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَسِيرَ فِيهِ .

وَبَدَأَ تُومْ رِحْلَتَهُ ، وَأَخَذَ يَسْبَحُ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ أَحْيَانًا ، وَعَلَى سَطْحِ الْمَاءِ أَحْيَانًا ، سَائِلاً حَيَوَانَاتِ الْبَحْرِ ، وَطُيُورَ الْهَوَاءِ ، عَنِ الْجِدَارِ السَّاطِعِ ، وَلٰكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَعْرِفْ عَنْهُ شَيْئًا ، إِلَى أَنْ أَبْصَرَ يَوْمًا سِرْبًا مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ ، تُغَرِّدُ وَتُصَفِّرُ ، وَتَطِيرُ بِخِفَّةٍ مِنْ مَوْجَةٍ إِلَى مَوْجَةٍ ، وَتُرَفْرِفُ بِأَجْنِحَتِهَا فِي حَرَكَاتٍ رَشِيقَةٍ مُتَنَاسِقَةٍ ، فَتَعْلُو وَتَهْبِطُ ، وَكَأَنَّهَا تَرْقُصُ عَلَى نَغَمَاتٍ مُوسِيقِيَّةٍ جَذَّابَةٍ . وَمَالَ إِلَيْهَا تُومْ مَيْلاً شَدِيدًا ، فَسَأَلَهَا عَنِ الْجِدَارِ السَّاطِعِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْعَصَافِيرُ ، لِحُسْنِ حَظِّهِ ، تَعْرِفُ أُمَّ الرَّحْمَةِ ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ مُرَافَقَتَهَا .

وَفِي الطَّرِيقِ قَابَلَ تُومْ سَفِينَةً كَبِيرَةً فَخْمَةً ، وَكَانَ عَلَى ظَهْرِهَا كَلْبٌ صَغِيرٌ ، فَمَا أَنْ رَأَى تُومْ ، حَتَّى أَخَذَ يَنْبَحُ وَيَهُزُّ ذَيْلَهُ . وَهَبَّتْ عَاصِفَةٌ ، وَعَلَتِ الأَمْوَاجُ ، فَجَرَفَتِ الْكَلْبَ الصَّغِيرَ ،

فَسَقَطَ فِي الْيَمِّ ، وَتَحَوَّلَ إِلَى كَلْبٍ مِنْ كِلَابِ الْبَحْرِ ، أَخَذَ يَسِيرُ خَلْفَ تُومْ ، وَأَصْبَحَ رَفِيقًا وَصَدِيقًا لَهُ .

وَاسْتَمَرَّ تُومْ يَسْبَحُ وَرَاءَ الْعَصَافِيرِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْجِدَارِ السَّاطِعِ ، وَهُوَ جِدَارٌ مِنَ الْجَلِيدِ الْبِلَّوْرِيِّ اللَّامِعِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُهُ ، بَاحِثًا عَنْ بَابٍ فِيهِ ، فَلَمَّا لَمْ

واستمر توم يسبح وراء العصافير

وذهب توم الى جبل الثلج وتأمله فاذا به امام سيدة .....

يَجِدْهُ ، غَطَسَ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ ، فَوَجَدَ فِي أَسْفَلِ الْجِدَارِ فَتْحَةً وَاسِعَةً ، أَدْرَكَ أَنَّهَا الْبَابُ الْأَبْيَضُ الْوَاسِعُ ، الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ .

فَدَخَلَ ، وَسَارَ يَسْبَحُ فِي ظَلَامٍ حَالِكٍ ، بِلَا خَوْفٍ وَلَا كَلَلٍ ، حَتَّى أَكْمَلَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ ، وَانْقَشَعَ الظَّلَامُ ، وَرَأَى ضَوْءًا ، فَارْتَفَعَ إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَإِذَا بِهِ فِي بِرْكَةِ السَّلَامِ ، حَيْثُ تَنْتَقِلُ الْحَيَوَانَاتُ الطَّيِّبَةُ بَعْدَ مَمَاتِهَا ، وَإِذَا بِهَا بِرْكَةٌ هَادِئَةٌ وَاسِعَةٌ ، تَكَادُ الْعَيْنُ لَا تُدْرِكُ حُدُودَهَا ، وَرَأَى عَلَى شَوَاطِئِهَا

مغارات جليدية ، تقيم فيها ملكات الجليد ، كما رأى الحيتان الطيبة راقدة على جوانب البركة ، في راحة وسكون .

وتوجه توم إلى أحد الحيتان ، وسأله عن أم الرحمة ، فأجاب الحوت قائلا : « انظر ها هي في وسط البركة . » ونظر توم إلى حيث أشار الحوت ، ولكنه لم ير غير جبل كبير من الجليد ، فذهب إليه وتأمله ؛ وإذا به أمام سيدة لم ير في حياته أبهى ولا أجمل منها ، وكانت في بياضها ونقائها ، كأنها صنعت من المرمر الأبيض الصافي ، الذي صنع منه عرشها ، وكانت جالسة على ذلك العرش ، في جلال مهيب ، مسندة رأسها إلى راحة يدها ، ناظرة إلى الماء نظرة تأمل عميق ، وكانت عيناها في لون البحر الأزرق الصافي ، وشعرها كالثلج الأبيض الناصع . فلما رأت توم ، نظرت إليه في حنان ورفق ، وقالت له : « أنا أم الرحمة ، فخبرني يا ولدي العزيز عما تريد . إن أطفال الماء البواسل مثلك ، لهم عندي كل حب وعطف . »

فسرد لها توم تفاصيل رحلته ، ثم طلب منها أن ترشده إلى عالم الغيب ، فقالت له : « انظر إلي . » وحدق توم في عينيها الواسعتين ، وأطال التحديق ، وإذا به يرى الطريق أمامه واضحا كل الوضوح .

(يتبع)

أودعوا متوفراتكم في

صندوق توفير البريد

يقبل الودائع من خمسة قروش الى خمسمائة جنيه

جميع مكاتب البريد تؤدي أعمال صندوق التوفير ، تضمن الحكومة رد الودائع .